وبالرغم من خطورة **تحول الثقة** بالنفس الى **نزف في السلوك** او ان **يتحـــول التفاؤل** بالمستقبل الى **تعام** عن **الحاضر** بمشاكله وتعقيداته ، الا ان هذه السمات المرضـــية التي طالما تسربت الى جسم كل الثورات تبقى مرشحة للتعطيل بفعل المعاناة الصادقة التي يضمنها الالتصاق الحي بالواقع من قبل الثورة والتي يمكنها في نهاية الامر من توجيه الواقع نحو التصور المرغوب . لكن اذا فقدت الثورة قدرة التقييم الموضوعي للظروف التي تعيشها في مرحلة معينة فانها تصبح مرشحة للعزلة من خلال تزمتها التنظيمي او المبدئي او للقمع اذا ما طالبت في مرحلة محددة بأكثر مما يمكن لها ان تحقق . من هنا تصبح الثورة علما بمقدار ما هي تنظيم وتصور .

ان الثورة الفلسطينية بعد السنوات العشر من تاريخها اثبتت انهـــا وصلت الى مستوى تستطيع فيه ان تبحث مشاكلها بنفس الاصرار — ان لم يكن أكثر — الذي يميز رغبتها الطبيعية في عرض منجزاتها . فالثورة الفلسطينية تدرك ان انجازاتها اخرجتها من دائرة الحظر تاريخيا . لكن هذا بحد ذاته يحفز اسرائيل الى تصعيد حملتهـــا التدميرية على الوجود الفلسطيني لانها هي بدورها ادركت انها دخلت — رغم انها لن تعترف الآن بذلك — تاريخيا دائرة الخطر الحقيقي على وجودها الصهيوني .

هذا ما يفسر **فقدان التوازن في فكر** وتصرف الصهيونية العالمية أكان على مستوى « الدولة الاسرائيلية » أم على مستوى تصرف التنظيمات الصهيونية في العالم . ان فقدان التوازن في صميم المؤسسة التوجيهية للصهيونية يعود الى انها — كمثيلاتها من الحركات العرقية والطائفية المنغلقة والتي تتصور تميز الانسان عن الانسان نهاية المطاف للالتزام — لم تعد ذاتها ولا دائرتها البشرية أو من تدعي خدمة مصالحهم على استيعاب الحقائق المستجدة والوعي المتنامي لدى ضحاياها او الذين قامت كياناتهم العرقية والاستيطانية والاستعمارية على أساس تكريس منع الشعوب من ممارســـة حقوقها الوطنية البديهية وحقوقها الانسانية الطبيعية . وكان كلما ظهرت دلائل التنظيم والفعل والتصور عند الشعوب المناهضة لهذه الكيانات العرقية والاستيطانية كلما ظهر عجز هذه الكيانات عن التكيف والظروف المستجدة المتطورة ، فلم تجد أمامهـــا سوى اللجوء الى مزيد من الانغلاق وامعان في الغطرسة وتكثيف في عمليـــة تغييب الحقائق عن قواعدها البشرية حتى تحول دون تفتح هذه القواعد على ما تنطوي عليه مسيرة التطور من نتائج تؤدي الى قوقعة مستشرسة لمصيرهم .

هذه الخطوط العريضة لمنهج السلوك العام للكيان الصهيوني لا تفترق عن ردود الفعل التي ميزت كل قوى الاستعمار والرجعية والعنصرية في مراحل انحســـارها وتقهقرها التاريخي وبالتالي زوالها التأسيسي والكياني .

ان فقدان التوازن في مؤسسة التوجيه الصهيوني على المستويين الكياني — أي اسرائيل — والشامل — أي المنظمات الصهيونية العالمية — يعود الى عجز الصهيونية ان تجيب على الاسئلة الملحة التي يطرحها باستمرار منطق التطور وتوسع رقعة الوعي والتحرر . في هذا المضمار تبقى الاسئلة المطروحة بالحاح من قبل اليهود الداخلين عن قناعة او عن ظروف استثنائية في أطر ومؤسسات الصهيونية بدون أجوبة محددة ، فتنساب الى داخل الكيان الصهيوني بوادر التشكيك الحقيقي في جدوى وصلاحيـــة وأهلية الصهيونية لحل ما سمي بـــ « المشكلة اليهودية » .

ازاء هذا التحدي الصارخ وافتقار الصهيونية — من جراء التحجر الفلسفي الملازم لها — الى المقدرة الفكرية والمنهجية لمواكبة التطور والاحداث والوقائع المستجدة ، تسخّر الصهيونية أدواتها التنفيذية المتقدمة لخدمة الخيار الجنوني المتبقي لاسرائيل